مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص - ص:708.-724

الصحافة الإصلاحية في الجزائر ودورها في بروز الوعي الوطني 1925/1954

The Reformist Press in Algeria and its role in the Appearance of Nationalist Awareness 1925/1954

حمزة عيجولي(*)
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، (الجزائر)،hamza.aidjouli@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 27 /2021/09 **تاريخ القبول:** 25 /2021/01 **تاريخ النشر:** 11 /2022/05

الملخص

يعد الاتجاه الإصلاحي تيارا مهما ومتميزا من تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، حيث كانت له رؤية خاصة في الإصلاح والتغيير والمواجهة مع الاستعمار الفرنسي، قوامها الأساسي إحياء الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية القائمة على الإسلام والعربية في ظل الانتماء إلى الوطن الجزائري الذي يختلف عن فرنسا وأطروحاتها الإدماجية والتغريبية.

وقد كان للإصلاحيين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كإطار جامع لهم، جرائد ومجلات ومنشورات تعبر عن لسان حالهم ومقالهم وتوضح مبادئهم وأهدافهم، فكانت تلك الوسائل الإعلامية بمثابة السلاح الفعال الذي تعتمد عليه الحركة الإصلاحية في الجزائر لنشر أفكارها والتعريف برسالتها، وبث الوعي في أوساط الجزائريين بما يخدم دينهم ولغتهم وقضيتهم الوطنية وانتمائهم الحضاري.

الكلمات الدالة: الحركة الإصلاحية – الصحافة الإصلاحية – جريدة المنتقد –جمعية العلماء المسلمينالجزائريين

Abstrac:

The reformist trend is considered as an important and outstanding current in the Algerian nationalistmovement, in thatithad a specific perspective in the reformation, change and confrontation of the French colonialism, mainlybased on reviving the Algerian identity with its civilisational components that centre around Islam and Arabic, under the umbrella of an Algerian homeland, different from France and its westernizing and integrationistproposedplatforms. Reformists and the Association of Algerian MuslimUlemahad a unifying frame: newspapers, magazines and publications that express theirthought and explaintheirprinciples and goals. Mass media were an effective weapon on which the reformistmovementrelied to spreaditsideas, publicizetheir message, and spreadawarenessamong the Algerian population to serve theirfaith, and language; their national cause and theircivilisationalsense of belonging to

*المؤلف المرسل.

	the nation.
Keywords:	reform movement-reformpress-Al MuntaqidNewspaper

1-مقدمة:

شكل مطلع القرن العشرين فاتحة جديدة في علاقة الشعب الجزائري بمختلف أطيافه مع الإدارة الاستعمارية، حيث أن فشل المقاومات الشعبية عسكريا في إخراج المحتل قد أدى بالجزائريين إلى اتباع طرق ووسائل جديدة في مقاومة الاستعمار متأثرين في ذلك بالظروف الداخلية والخارجية.

فقد برز البناء الجديد للحركة الوطنية الجزائرية خلال عقدي العشرينات والثلاثينات مصنفا إلى أربع اتجاهات رئيسية متمايزة فيما بينها في البرامج والخلفيات الفكرية والتوجهات السياسية وهي:

- التيار الاندماجي ممثلا في فدرالية النواب المنتخبين المسلمين 1927 وهم يمثلون طبقة البورجوازية الجزائرية، التي عرفت أيضا باسم النخبة الليبرالية وأشهرهم فرحات عباس ومُحَمَّد الصالح بن جلول، ابن التهامي، الدكتور سعدان، تامزالي عبد النور.....وغيرهم.
- التيار الشيوعي أو دعاة المساواة الاجتماعية الذين برزوا كحزب سياسي مستقل عن الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1936 وأبرزهم عمار أوزقان.
- التيار الاستقلالي الذي يتزعمه مصالي الحاج بحزبه نجم شمال افريقيا 1926 وحزب الشعب 1937،والذي ضم العديد من السياسيين الشباب المؤمنين باستقلال الجزائر وبفرضية العمل المسلح.
- التيار الإصلاحي الذي أخذ بعدا تنظيميا بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 بزعامة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس.

والذي يهمنا أساسا في مقالنا هذا هو التيار الأخير الذي شكل اتجاها مستقلا من روافد الحركة الوطنية الجزائرية ومتميزا بصحافته وجرائده التي كانت تعبر عن لسان حاله وخطه المتميز، كما أن باقي التيارات قد كان لها رؤى متنوعة في التغيير والتعبير عن نضالها وبصحافة وأطر إعلامية مميزة هي الأخرى فهو بذلك اختلاف في الخلفيات الأيديولوجية والأساليب والوسائل والمآلات.

لقد برزت الحركة الإصلاحية الجزائرية مع اقتناع شرائح واسعة من الشعب الجزائري في بدايات القرن العشرين بأن تكون أطروحات البناء الديني واللغوي والفكري والثقافي والمسائل المرتبطة بالهوية هي أولى أولويات النخب الجزائرية في هذه المرحلة بالذات[1].

وقد تبلورت هذه الفكرة بفضل عدة عوامل لعل أبرزها مرور قرن كامل 1930/1830 على استعمار استيطاني فرنسي في الجزائر ركز جل اهتماماته ومجهوداته على طمس الهوية الجزائرية بمختلف مقوماتها الإسلامية والعربية ، فالاستدمار الفرنسي في بلادنا لم يقتصر على الإلحاق السياسي والهيمنة العسكرية بانتفاء السيادة الجزائرية ذات 1830، وإنما كان في حقيقته استدمارا ثقافيا وحضاريا سعى بكل الطرق إلى استبدال قيم الشعب الجزائري الأصيلة الموروثة من الانتماء إلى العالم الإسلامي والعربي في إطار الشمال الإفريقي المسلم، بقيم تغريبية فرنسية.

وقد مر نشاط الحركة الإصلاحية الجزائرية بمرحلتين رئيسيتين:

مرحلة الجهود الفردية 1931/1900: ممثلة في نشاط رجالات الإصلاح الموزعين على مختلف مناطق القطر الجزائري، كابن باديس في قسنطينة والعقبي بإقليم الزيبان ومختلف العائلات الإصلاحية المنتشرة في الوسط الجزائري كعائلات بن المرابط وباشترزي وعباس التركي.

مرحلة الجهود الجماعية المنظمة 1952/1931: والتي ارتبطت بنشاطات جمعية العلماء كمؤسسة جامعة للمجهودات الفردية متخذة بذلك بعدا وطنيا شاملا[2].

فيمكن القول أن الحركة الإصلاحية قد تطورت وتنظمت وخرجت من الإقليمية والمحلية إلى الوطنية والصدى العالمي مع الإمام ابن باديس والجمعية بداية من العقد الرابع من القرن العشرين، بل ويذهب مؤرخ الجزائر الراحل أستاذنا أبو القاسم سعد الله إلى القول بأنه لولا ابن باديس وجهوده لما تأسست جمعية العلماء المسلمين ولما توحدت المجهودات الإصلاحية الوطنية[3].

2-الحركة الإصلاحية وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كإطار جامع وتنظيمي للحركة الإصلاحية الجزائرية يوم 31 ماي 1931 بنادي الترقي في الجزائر العاصمة فاتحة لعهد جديد في تاريخ الحركة الإصلاحية[4].

حيث يربط العديد من المؤرخين بين سنة تأسيس جمعية العلماء 1931 واحتفالات فرنسا بمئوية احتلالها للجزائر 1930/1830، حيث ركزت مظاهر الاحتفال على رمزية انتصار الصليب على

الهلال وما تحمله من دلالات حضارية تشير إلى القضاء على المقومات الإسلامية والعربية في الجزائر بفعل السياسات الاستعمارية في هذا المجال، فكان بروز جمعية العلماء كحاملة للواء إحياء الهوية الجزائرية بمختلف أبعادها شكلا من أشكال الرفض والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي[5].

وقد لخص الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي مجالات عمل جمعية العلماء في قوله:(قامت الجمعية تعمل لإصلاح الإسلام بين المسلمين، والمطالبة بحقوقه المغصوبة وبحرية لغته المسلوبة وسمع الاستعمار لأول مرة في حياته بهذه الديار نغمة جديدة لم تألفها أذناه تدعو إلى الحق في قوة وتطالب بإنصاف في منطق)[6].

فبتحليل بسيط لمقولة الشيخ الإبراهيمي نلاحظ أن نشاط الحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين قد كان مصادما لأخطر السياسات الاستعمارية القائمة على طمس الهوية الإسلامية العربية في الجزائر، وحتى الشعار الشهير المستعمل في أدبيات الجمعية "الإسلام ديننا–العربية لغتنا–الجزائر وطننا" يحمل في طياته معان تخرس من يتهم الجمعية ورجالاتها بعدم الإيمان في حركتهم الإصلاحية بوطن جزائري مستقل عن فرنسا، وتحدث الشيخ ابن باديس عن مبادئ الجمعية في الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة، وهي الأركان التي تحفظ للجزائريين هويتهم وقوميتهم المخالفة للهوية والقومية الفرنسية أصولا وفروعا[7].

لقد كانت أهداف جمعية العلماء عميقة المعنى والمبنى بعيدة عن أساليب المناورة والمساومة والتسلق السياسي متخذة لوسائل واضحة وعملية لتحقيق طموحها الرئيسي في إحياء الشخصية الإسلامية العربية والحفاظ عليها من التغريب والاندثار من خلال فتح المدارس العربية والقرآنية وكتابة التاريخ الوطني المنفصل عن المدرسة التاريخية الكولونيالية، حيث كان رجالات الجمعية كمبارك الميلي وأحمد توفيق المدني من الرواد الأوائل الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر، إضافة إلى إنشاء النوادي والصحف لممارسة الإصلاح في شقيه الديني والتربوي[8].

واجهت جمعية العلماء خلال مسيرتها الإصلاحية مقاومة من عدة أطراف فرنسية وجزائرية وهو ما يشير إليه أحد مؤسسيها الشيخ أحمد توفيق المدني بقوله:(اقتحمت جمعية العلماء ميدان حرب محفوف بالمزالق والأخطار، فحاربت أول ما حاربت أنصار الاستعمار ثم قاومت وحطمت البدع والضلالات الدينية التي استغلها الاستعمار تحت شعار الطرقية حتى تمكنت من تطهير الدين وأرجعته لتعاليمه الطاهرة الأولى)[9].

3-الحركة الإصلاحية في مواجهة الاستعمار:

قال الإمام الرئيس ابن باديس في خطابه الشهير أمام علماء الزيتونة:(لا إصلاح ديني أو اجتماعي إلا بإصلاح سياسي ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا أذا نهضت السياسة بجد)، فحقيقة لا يمكن الفصل بين ما هو سياسي وديني واجتماعي وثقافي وحضاري لدى أمة ما، فالهوية الدينية واللغوية والاجتماعية هي القاعدة الأساسية لأي كيان سياسي.

ويشد انتباهنا هنا أيضا مقولة المؤرخ الجزائري المختص في الشؤون السياسية البروفيسور عمار بوحوش:(تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حركة سياسية ذات قاعدة اجتماعية...وقد برزت إلى الوجود كحركة سياسية إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرير العربية)[10].

إن اعتبار نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ذو أبعاد سياسية ثورية ليس بالقول الشاذ ولا المغالطة الايديولوجية بل هو حقيقة تاريخية لا يمكن نفيها، فباتفاق الجميع قد تركزت مجهودات ابن باديس والجمعية ورجالاتها في إحياء الهوية الجزائرية المناقضة تماما للهوية الفرنسية وهو دعوة ضمنية وإن لم يصرح بها بصفة مباشرة في أدبيات الجمعية إلى استقلال الجزائر عن فرنسا، وذلك بقيام كيان سياسي جزائري يسع الهوية الحضارية الجزائرية ومقوماتها الإسلامية والعربية.

لقد حالت الظروف الإدارية والقانونية الاستعمارية التي كانت تنشط جمعية العلماء في إطارها دون التصريح برؤيتها السياسية، فقد نص الفصل الثالث من قانونها الأساسي على عدم خوضها في المسائل السياسية تماشيا مع قانون الجمعيات الفرنسي آنذاك.

ويذكر في هذا السياق العديد من المؤرخين بأن فكرة الكيان الجزائري المستقل قد طرحها ابن باديس خلال الثلاثينات رغم بعد الجمعية وعلمائها عن الممارسة السياسية الصريحة، حيث اعتبر ابن باديس بأن الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على الأرض بل عارض هو وأتباعه دعاة الاندماج وحاربوا قوانينه، داعين إلى التمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية وأصدر علماء الجمعية فتاوى تحريم تركها لصالح التجنيس، وحكموا بالردة على كل جزائري يتجنس بالجنسية الفرنسية مقابل تخليه عن هويته الإسلامية.

وينقل مؤرخ الحركة الوطنية الجزائرية سعد الله من أحاديثه الشخصية وعلاقاته برجال الجمعية ولقاءاته العلمية بأن ابن باديس كان يخطط لإعلان استقلال الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، غير أن المنية قد داهمته في 16 أفريل 1940 وهو ما جعل بعضهم يطرح فكرة وفاته غير الطبيعية[11].

لقد تحولت الحركة الإصلاحية الجزائرية خلال الثلاثينات مع ابن باديس والجمعية إلى كيان ومؤسسة تهدد النظام الكولونيالي القائم، من خلال عملها على إحياء الهوية والشخصية الجزائرية الإسلامية العربية، وهي الثوابت التي يذكر سعد الله بأنها تعني منطقيا وبلغة القومية دعوة إلى إنشاء دولة جزائرية مستقلة[12].

تطور نشاط الجمعية 1936 / 1954:

ارتبط نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الثلاثينيات والأربعينيات بمجموعة من الظروف المحلية داخل الجزائر والإقليمية والدولية، حيث شهدت الجمعية تطورا ملحوظا على مستوى الوسائل والأولويات وحتى القناعات، أما على مستوى الوسائل فقد شهد مسار الجمعية نقلة نوعية باتجاه النشاط السياسي من خلال مشاركتها في المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936 كشكل من أشكال الوحدة المبكرة بين مختلف فصائل الحركة الوطنية الجزائرية، والذي كان هدفه تحسين اوضاع الشعب الجزائري على عدة أصعدة،وقد برزت لمسة الجمعية ورجالها في هذا المؤتمر بصفة جلية من خلال مطالبه المرتبطة بالهوية الجزائرية وعلى رأسها الأحوال الشخصية الإسلامية والدعوة للرقي باللغة العربية وحرية التعلم والتعليم بها.

وأما على مستوى الأولويات فقد أعطت الجمعية أهمية بالغة للتعاون مع مختلف تيارات الحركة الوطنية الفاعلة من استقلاليين ومساواتيين واندماجيين بموازاة مع نشاطها الإصلاحي والإحيائي.

أما عن مستوى القناعات فكانت مجازر 8 ماي 1945 بمثابة الهزة التي رجت أركان كل اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية بما فيها التيار الإصلاحي ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث كانت المناطق التي وقعت فيها المجازر من المعاقل التقليدية للجمعية ولها بها الاف الانصار حتى ان الاستعمار قد اتهم حزب الشعب والجمعية بتدبير تلك المظاهرات واعتقل على إثرها العشرات من المحسوبين على الجمعية.

ومثل ما هو معروف في الأدبيات التاريخية فإن مجازر 08 ماي 1945 قد أقنعت الجزائريين بأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة وهو ما يفسر الفتور في نشاط الجمعية ورجال الإصلاح في الفترة

الممتدة بين 1945/1954 مقارنة بالفترة السابقة لها 1931/1945 والتي كانت أزهى فترات النشاط لدى جمعية العلماء.

استأنفت جمعية العلماء نشاطها بعد نهاية الحرب العالمية 2، عند استفاد رجالاتها من قرار العفو الفرنسي وإطلاق سراحهم بموجب قانون 16 مارس 1946 غير أن لسان حالها جريدة البصائر لم تسمح الادارة الاستعمارية بإعادة إصدارها إلا سنة 1947، وقد قام الشيخ البشير الإبراهيمي بإعادة ترتيب البيت الداخلي للجمعية مع التأكيد على نهجها وخطها الإصلاحي، الذي يعطي الأولوية في هذه المرحلة بالذات للواجبات السياسية القائمة على محاربة الادماج ورفض سياسة التجهيل والتنصير بوسائل التربية والتعليم والإصلاح الديني[13].

والملفت للانتباه هو التغير الحاصل في لهجة الجمعية بعد مجازر 8 ماي 1945 بل وفي بعض قناعاتها السابقة التي كانت من بينها تجنب الدخول في السياسة وغمارها حيث أن الجمعية لم تعد تكتف بالإصلاح التربوي والديني بل تعدتهما إلى الدعوة للإصلاح السياسي وهي دعوة ضمنية للتخلص من الهيمنة الاستعمارية لأن العلماء قد أيقنوا بأن لا إصلاح ثقافي واجتماعي بدون اصلاح سياسي ولا إصلاح سياسي إلا بوجود سلطة لمن هو في الحكم[14].

لقد كان رجالات جمعية العلماء المسلمين روادا للفكرة العربية الإسلامية في الجزائر منذ تأسيس الجمعية سنة 1931 وكانوا روادا لفكرة اختلاف الأمة الجزائرية عن الأمة الفرنسية وهو ما يعتبر في حد ذاته فكرا ثوريا تحرريا لأن تحرير العقول والنفوس من نير الاستعمار أرضية أساسية للسعي نحو التحرر السياسي والاستقلال التام عن الدولة المستعمرة.

ويذكر المؤرخ الراحل أبو القاسم سعد الله بأن جمعية العلماء خلال الخمسينات كانت الجهة الوحيدة التي الفاعلة والمنظمة والمنتشرة في كل انحاء القطر لجزائري، ويعزو ذلك لعدة أسباب من بينها اهتزاز صورة ومكانة الاحزاب السياسية لدى الشعب الجزائري من جهة والأزمات التي مر بها التيار الاستقلالي من جهة أخرى (الأزمة البربرية 1949، اكتشاف المنظمة الخاصة 1950، انقسام وأزمة MTLD 1953.)[15]

ويلخص سعد الله دور الجمعية في الثورة بقوله الذي نورده هنا حرفيا حتى يفهم معناه من مؤرخ عاصر تاريخ الجمعية والثورة في أهم مراحل: ((إنصافا للتاريخ لولا الفتية الذين امنوا بربهم ووطنهم وكونوا أنفسهم في الخفاء واجتمعوا وتجاوبوا وقرروا الثورة، لكانت الجزائر بدون جمعية العلماء كريشة في

مهب الريح سنة 1954.....ويبقى أن نعرف مستقبلا كم من الذين فجروا ثورة 1954 كانوا من خلايا حزب الشعب وكم منهم كانوا من خريجي مدارس جمعية العلماء))[16].

لم تتماطل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الالتحاق بالثورة بل أيدتها وباركتها من يومها الأول، حيث أذاعت بيانا من القاهرة وزعته على الصحافة ووكالات الأنباء العالمية يوم 02 نوفمبر 1954 ممضي من طرف الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورثلاني حيث استبشر البيان خيرا بالثورة وسماها جهادا، محملا فرنسا مسؤولية حدوثها بقمعها وظلمها وسياستها الاستعمارية الجائرة في الجزائر[17].

ولم تكتف الجمعية بهذا البيان بل تلته بيانات أخرى مناصرة للثورة وداعية الشعب الجزائري للالتفاف حولها والمجموعة الدولية لدعمها واحتضانها مثل بيان 11 نوفمبر 1954 وبيان 15 نوفمبر 1954، وبذلك قطعت كل الشكوك والمغالطات التي عادة ما تثار حول دور الجمعية في الثورة تقزيما لها وانقاصا من حقها وقدرها، فالبيانات والنصوص السابقة الذكر كلها موثقة وواردة في منشورات الصحافة ووكالات الأنباء في حينها.[18]

لقد تكون العديد من الثوار والمجاهدين الجزائريين الذين التحقوا بالثورة في مدارس جمعية العلماء وكانوا حاملين لفكرها ونهج إصلاحها كما درس بعضهم في معهد ابن باديس والجامع الأخضر بقسنطينة، واستشهد رجالاتها في ميادين الكفاح كالشيخ العربي التبسي وتقلد شيوخها مناصب في قيادة الثورة والحكومة المؤقتة كالشيخ أحمد حماني والشيخ أحمد توفيق المدني والشيخ الجليل الطاهر ايت علجت أطال الله في عمره.

وتلبية لنداء جبهة التحرير الوطني لمختلف الجمعيات والتشكيلات السياسية الجزائرية للانضمام إلى جبهة التحرير الوطني كوعاء موحد وشامل للمجهود الثوري، عمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى حل نفسها والالتحاق رسميا بالجبهة والثورة سنة 1956، ولتستأنف أنشطتها بعد استرجاع السيادة الوطنية 1962 في ظروف جديدة ومختلفة.

4-الصحافة الإصلاحية "النشأة والتطور"1956/1925:

يعد الإعلام اليد الضاربة لكل فكرة مهما كان صغرها او كبرها وبغض النظر عن صحة الفكرة من خطئها، والمتتبع للسياق التاريخي لنشأة وتطور الصحافة والعمل الإعلامي في الجزائر خلال العهد الاستعماري يجد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية كانت هي السباقة لاستعمال هذه الأداة الفعالة،

حيث يمكن اعتبار البيان الذي وزعه الجيش الفرنسي على الجزائريين عشية احتلال الجزائر بتوقيع الكونت ديبورمون بمثابة الانطلاقة الأولى للآلة الإعلامية الاستعمارية ودعايتها المغرضة.

غير أن البداية الفعلية للصحافة العربية في الجزائر كما يذكر المؤرخون كان مع إصدار السلطات الفرنسية لجريدة المبشر سنة 1847، لتكون وسيلتها الإعلامية الموجهة لمخاطبة الجزائريين وإعلامهم بالقوانين الاستعمارية دون أن نغفل هدفها في تكسير معنوياتهم وخلق جو عام يسوده القبول بالتواجد الاستعماري والتبرير له[19].

عمدت الإدارة الاستعمارية إلى وضع عراقيل كبيرة تعترض سبيل انشاء الصحف والجرائد على الجزائريين من جهة، ومراقبة ومنع دخول الصحف المشرقية من جهة أخرى وذلك راجع أساسا لتخوف الفرنسيين من تنامي الوعي وانتشار الثقافة في أوساط الجزائريين بما يهدد الكيان الاستعماري وفكرته الاستيطانية.

ورغم كل تلك الحواجز والعراقيل إلا أنه قد ظهرت العديد من الصحف داخل الجزائر بمجهودات فردية في كثير من الأحيان، وبرزت أسماء لامعة في الصحافة الجزائرية الناشئة مثل عمر راسم الذي أصدر جريدتي "الجزائر 1908 و ذو الفقار 1913" ، وعمر بن قدور الجزائري صاحب جريدة "الفاروق 1913"، والصادق دندان الذي أصدر صحيفة "الإسلام 1912"، والأمير خالد بإصداره لجريدة "الإقدام 1920" ....، وغيرها من عشرات الصحف الجزائرية التي برزت وتطورت منذ مطلع القرن العشرين، حيث وصل عدد الصحف التي صدرت في الجزائر بين سنتي 1847 و1938 أكثر من 67 جريدة.[20]

لقد كان للحركة الإصلاحية ورجالاتها قبل وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحيز الأكبر من النشاط الإعلامي، عبر إصدار الصحف والمجلات والجرائد بصفة فردية وجماعية من مختلف مناطق الوطن شرقا وغربا وشمالا وصولا إلى الزيبان ووادي ميزاب والصحراء جنوبا، حيث لم يغفل الإصلاحيون دور الصحافة في خدمة أهدافهم والتعريف بقضيتهم في أوساط الشعب الجزائري فاتخذوا الإعلام وسيلة من وسائل التربية والتعليم والحفاظ على الهوية الجزائرية والاهتمام باللغة العربية وشعائر الإسلام، وتصحيح عقيدة المسلمين الجزائريين ونشر الفضيلة في أوساطهم.[21]

تعد جريدة "النجاح" التي نشأت سنة 1919 أولى الصحف العربية في الجزائر صدورا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد كانت أقرب إلى النهج الإصلاحي في بدايتها حيث كان الشيخ ابن باديس

من مؤسسيها وشارك في تحرير مقالاتها غير أنه غادرها نتيجة خلافات مع صاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي، لتتجه الجريدة فيما بعد نحو مساندة مناوئي الشيخ بن باديس والشيخ بيوض وأبي اليقظان أي أنها صارت أقرب للطرقيين منها للإصلاحيين.[22]

شكلت مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1939/1919 المرحلة الأكثر ازدهارا في مسيرة الصحافة الإصلاحية، حيث شهدت ظهور ثلاث عناوين لصحف أصبحت المرجع الأساس للنشاط الإعلامي للحركة الإصلاحية الجزائرية ولجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي "المنتقد1925" و"الشهاب 1925" و"البصائر 1935".[23]

بدأت جريدة المنتقد كجريدة أسبوعية تصدر من قسنطينة ابتداءا من 02/جويلية/1925 بتأسيس من الشيخ عبد الحميد بن باديس وبخط إصلاحي واضح، تحت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" ، وضمت المنتقد في صفحاتها الأقلام الجزائرية المتأثرة بالحركة الإصلاحية المشرقية وهم الشباب الجزائريون العائدون من الأزهر والزيتونة والحجاز والشام، حيث اعتبرت صحيفة المنتقد ((تحولا هاما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر))[24]، فكان من أبرز كتابها الشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي والشيخ أبو اليقظان والشاعر مُحَمَّد العيد ال خليفة والشاعر مُحَمَّد الهادي السنوسي.

غير أن المنتقد لم تعمر طويلا نتيجة ضغوطات الطرقيين وتوجس الإدارة الاستعمارية منها خيفة فكان مصيرها التوقيف في 29/أكتوبر/1925 بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا.

لم يستسلم الشيخ ابن باديس والإصلاحيون بعد توقيف المنتقد بل تم إصدار جريدة إصلاحية جديدة بعنوان "الشهاب" لتكون استمرارية لنهج "المنتقد" الإصلاحي بقيادة الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس انطلاقا من حاضنة الإصلاح مدينة قسنطينة، وذلك ابتداءا من 12/نوفمبر/1925 الموافق ل 25/ربيع الثاني/1344هـ، وهو يوم صدور العدد الأول من الشهاب.[25]

بدأت جريدة الشهاب كأسبوعية ثم تحولت إلى جريدة شهرية بداية من السنة الرابعة لصدورها نتيجة صعوبات مالية اعترضتها، فكانت الشهاب الشهرية ((مجلة راقية تؤرخ للحركة الفكرية والاجتماعية الجزائرية في مرحلة من أهم مراحلها التاريخية وكانت بالرغم من حجمها المتواضع غزيرة المادة عديدة الأبواب)).[26]

وتجدر الإشارة إلى أن جريدة الشهاب قد ضمت في طيات مقالاتها دعوات متناثرة لتأسيس وعاء جامع لرواد الفكر الإصلاحي الديني والاجتماعي، والذي تحقق يوم 02 ماي 1931 بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي بدأ مع تأسيسها عهد جديد في تاريخ الصحافة الإصلاحية بالجزائر بحيث تأسست صحف تتبع خط الجمعية وبأقلام روادها كجريدة "السنة 1933" و"الشريعة 1933" و"الصراط 1933" ولعل أبرزها على الإطلاق "البصائر 1935 في سلسلتها الأولى والبصائر 1947 في سلسلتها الثانية ".

رغم كون جريدة البصائر هي الصحيفة الرابعة التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد السنة والشريعة والصراط إلا أنها كنت أشهرها وأطولها من حيث مدة الصدور وأكثرها من حيث الأعداد، والأهم من ذلك كونها الأكثر تأثيرا في أوساط الجزائريين من خلال السلسلتين الأولى والثانية (1939/1935) و(1956/1947).

صدر العدد الأول من البصائر في الجزائر العاصمة يوم 27 ديسمبر 1935 بتحرير ورئاسة الشيخ الطيب العقبي ومسؤولية الشيخ مُحَّد خير الدين، وطبعت في مطبعة أحد رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو الشيخ أبو اليقظان فكانت بمثابة الوعاء الجامع للأقلام الإصلاحية ولسان حال جمعية العلماء وقد بلغت أعداد السلسلة الأولى من البصائر 180 عددا بمواضيع متنوعة ومقالات ثرية، كما برز في مضمونها تطورا في الخط العام للجمعية ورجالات الإصلاح من خلال الاهتمام بشتى المواضيع السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، بل وحتى إثارة قضايا خارجية ونشر كتابات لأقلام من خارج الجزائر مشرقا ومغربا، ومن أبرز كتاب البصائر نذكر الشيخ ابن باديس والابراهيمي والعقبي والشيخ مُحَّد خير الدين والشيخ أبو يعلى الزواوي ومبارك الميلي والشيخ أحمد سحنون .....وغيرهم.[27]

دام صدور السلسلة الأولى من البصائر أربع سنوات تخللها تغير في خريف سنة 1937 تمثل في انتقال صدورها من العاصمة إلى قسنطينة حيث صارت تطبع في المطبعة الإسلامية الجزائرية وبإشراف وتحرير من الشيخ مبارك الميلي، لتتوقف عن الصدور مؤقتا بفعل ظروف قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939 وذلك بقرار ذاتي من مسيريها حتى لا تقع في مستنقع دعاية الحرب واستغلال منبرها من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية فكان اخر عدد يصدر في 25 أوت 1939 من البصائر الأولى.[28]

استأنفت جريدة البصائر صدورها بحلة جديدة عقب نهاية الحرب العالمية الثانية كناطق بلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبإدارة جديدة ممثلة في الشيخين مُحَّد البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي، مع تسجيل عودتها إلى الطباعة والصدور من الجزائر العاصمة انطلاقا من المطبعة العربية لمالكها الشيخ أبو اليقظان.

حيث صدر العدد الأول من السلسلة الثانية لجريدة البصائر يوم 25 نوفمبر 1947 الموافق ل 07 رمضان 1366هـ مواصلة على نفس الخط الإصلاحي والنهج الإحيائي حتى تاريخ اندلاع الثورة التحريرية أين تفاعلت البصائر مع مواضيعها وأفردت لها صفحة خاصة إلى غاية توقف صدورها يوم 06 أفريل 1956 في ظروف الثورة وتطوراتها لتكتمل السلسلة الثانية من البصائر بصدور 366 عدد وتكون بذلك البصائر ((من أهم المصادر المؤرخة للفكر الجزائري الوطني الإسلامي في مرحلة ما قبل الثورة)).[29]

5-الصحافة الإصلاحية والوعي الوطني:

لقد ساهمت عدة ظروف داخلية وخارجية في نشأة وتطور الصحافة الإصلاحية في الجزائر من التسلط الاستعماري وسياساته الجائرة،إلى تأثيرات النهضة القادمة من المشرق العربي وصولا إلى التطورات الداخلية والتفاعلات التي شهدها المجتمع الجزائري مطلع القرن العشرين.

لم يكن ليكتب النجاح للمشروع الإصلاحي الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس 1931-1940 ثم رئاسة الشيخ مُحَّد البشير الإبراهيمي 1956/1940 في ظل الظروف الاستعمارية الاستثنائية، لولا الاهتمام البالغ الذي أولته الجمعية ورجالاتها لدور الإعلام ووسيلته المتوفرة آنذاك ألا وهي الصحافة المكتوبة التي تشكلت من خلالها جرائد كانت بمثابة الناطق الرسمي باسم الحركة الإصلاحية الجزائرية والمدافع عن أطروحاتها والناشر لفلسفتها في التغيير القائمة على إحياء الشخصية الجزائرية بمقوماتها الإسلامية والعربية في إطار الأمة الجزائرية المختلفة عن فرنسا دينا ولغة وتاريخا وجغرافية.

إن بروز الوعي الوطني لدى الجزائريين بداية من العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين إن كان يعود فضله في الشق السياسي لنجم شمال إفريقيا 1926 وحزب الشعب 1937، فإنه يعود فضله في الشق الحضاري الديني والثقافي واللغوي للإصلاحيين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصحافتهم النشيطة والمنتشرة في شتى ربوع البلاد كالمنتقد 1925 والشهاب 1925 فالبصائر (1) 1935.

كما أن التغير الحاصل في قناعات الجزائريين وعلاقتهم بالإدارة الاستعمارية عقب الحرب العالمية الثانية ومجازر الثامن ماي 1945، لم يكن بالبعيد عن نشاط جمعية العلماء وتواجدها الإعلامي من خلال منبرها البصائر (2) التي عاودت إلى الصدور في سلسلتها الثانية بداية من سنة 1947.

لقد كانت الصحافة العربية الإصلاحية بالجزائر رائدة للنهضة الفكرية والثقافية والأدبية وأداة فاعلة في الإصلاح الديني ووسيلة عملية من وسائل التربية والتعليم في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، فكانت تخوض معركة حضارية لاسترجاع الهوية الجزائرية التي حاول الاستدمار الفرنسي طمسها بمختلف الوسائل والأساليب، فكانت تلك المعركة الحضارية لا تقل خطورة عن معارك السياسة وتحضيرات العمل المسلح، فكان كفاح البصائر وأخواتها من أسلافها قائما على وحدة الشعب الجزائري وعقيدته الإسلامية وعروبته ولغته وتاريخه.[30]

السنة والشريعة والصراط والبصائر ((أسماء ألهم القرآن استعمالها وفصلت القرائح الملتهبة والأقلام المسددة إجمالها وصدق واقع العيان فألها، ومازالت جمعية العلماء تتلمح العوامل الإلهية في كل ما تأتي وتذر وتستند على الإلهامات الإلهية حتى في أسماء صحفها))[31].

هكذا وصف الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي في تقديمه للعدد الأول من السلسلة الثانية لجريدة البصائر سنة 1947، الألسنة الأربعة الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث أعطى وصفا دقيقا للبعد الديني والروحي لعناوين ومضامين الصحافة الناطقة باسم الإصلاحيين والجمعية، وهو ما يبرز أثرها في الإصلاح الديني وإحياء الشرائع الإسلامية في مواجهة عدوين كانت ترى الصحافة الإصلاحية فيهما هدفا لسهامها، أما العدو الأول الظاهر للعيان فهو المحاولات الاستعمارية لتشويه هوية الجزائريين واستيلابهم حضاريا، أما العدو الثاني فهو جزء من المنظومة الدينية الطرقية التي كانت تبث العقائد الفاسدة والرجعية في أوساط الجزائريين.

لقد تحقق إلى حد كبير ما سطره الإصلاحيون كأهداف في برنامج عملهم الذي حملته صفحات جرائدهم الإصلاحية حيث جاء في مقدمة الشهاب في ماي 1934 أن هدف الجمعية إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية والوطنية والأدبية والعلمية.[32]

6-خاتمة:

يمكن القول بأن عمل العلماء من أجل الإصلاح كان يعتمد أساسا على الصحافة التي ضمت مختلف جرائدها زبدة انتاج وأفكار المؤمنين بنهج الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي والإحياء الحضاري.

حيث تعتبر التوعية الحضارية ضرورية وحجرا أساسيا في أي بناء فكري أو سياسي داع إلى الاستقلال وهو ما يؤيد وبقوة فرضية بل مسلمة أن مختلف الأنشطة والمجهودات الإصلاحية والإحيائية التي مارستها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر الصحافة والمدارس والنوادي.... وغيرها، قد كانت تهيئة لعقول ونفسيات الشعب الجزائري إلى فكرة الاستقلال، ولعل معركة الهوية والثوابت الحضارية التي أخذتها جمعية العلماء على عاتقها تعد أخطر من المعارك ذات الطابع السياسي والعسكري.

فالإمام ابن باديس قد جعل من أولوياته توجيه الأمة الجزائرية في إطار واحد يجمع بينها مقومات هويتها[33]، فمن غير المعقول أن تواجه أمة ممزقة لا تعرف تاريخها ولا هويتها ولا انتمائها الحضاري، منظومة استعمارية جهنمية سخرت كل قواها وإمكانياتها للقضاء على الشخصية الجزائرية والهيمنة عليها.

ونشير في الأخير إلى ضرورة إعادة القراءة التاريخية لمختلف الأحداث الشائكة والمتداخلة في تاريخ بلادنا، حتى لا نبقى حبيسين لمواقف وتحليلات تاريخية تعود إلى عقود ماضية من القرن العشرين موجهة بمواقف سياسية وأيديولوجية مسبقة ومتناقضة في كثير من الأحيان.

وكمثال بسيط لذلك التناقض نختم بهذه المقولة لأحد المؤرخين الأمريكيين نقلها أستاذنا الدكتور خيثر عبد النور وهي قوله:(بعد استقلال الجزائر نظرت النخبة الحاكمة إلى جمعية العلماء على أنها منظمة رجعية ثم تمت إزاحتها لكن في الوقت ذاته ظلت تلك النخبة توظف ابن باديس باعتباره بطلا ورمزا وطنيا)[34].

7-الهوامش:

[1]أحمد مريوش، **مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر1900/1952**، مطبوعات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الموسم الجامعي 2008/2007، ص1.

[2]نفسه، ص3-4.

[3]أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،(**ج3**)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992 ، ص84-85.

[4]نفسه، ص83.

[5]أحمد مريوش، **دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1952/1931**، مطبوعات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الموسم الجامعي 2008/2007، ص115.

[6]مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، **عيون البصائر**، ص22.

[7]نبيل بلاسي، **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، مطبعة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، مصر، ص62.

[8]العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (ج1)**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص208.

[9]أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص167.

[10]عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص245.

[11]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص88/87.

[12]أبو القاسم سعد الله، **أبحاث واراء في تاريخ الجزائر(4)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص143.

[13] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص204.

[14]نفسه، ص206.

[15] أبو القاسم سعد الله، أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص147.

[16]نفسه، ص148.

[17]اثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، **جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، الجزء الخامس (1964/1954)، ص37.

[18] نفسه، ص-ص 33-40.

[19] مُحَمَّد بن صالح ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، منشورات ألفا، ط2، 2006، الجزائر، ص12.

[20] أنظر قائمة الجرائد الصادرة في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن العشرين في: مُحَمَّد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص271.

[21] حياة عمارة، **أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية**، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف الأستاذ الدكتور: مُحَمَّد عباس، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص2.

[22] مُحَمَّد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص50.

[23] صدرت السلسلة الثانية لجريدة البصائر بداية من سنة 1947.

[24] مُحَمَّد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص60.

[25] عبد الرحمان شيبان، **مقدمة مجلة الشهاب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص11.

[26] نفسه، ص12.

[27] مُحَمَّد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص220.

[28] نفسه، ص221.

[29] نفسه، ص268.

[30] عبد الرحمان شيبان، المرجع السابق، ص 14.

[31] اثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، **جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي**، الجزء الثالث "عيون البصائر" دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص42.

[32] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص397.

[33] يوسف مناصرية، **زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس سنة 1937 وفكرة الوحدة المغاربية**، دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص295.

[34] عبد النور خيثر، **الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931/1956 من خلال بعض الكتابات التاريخية الفرنسية**، حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد 02، جويلية 2008، منشورات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2008، ص81.

8-قائمة المصادر والمراجع:

1 الإبراهيمي مُحَمَّد البشير، اثار الابراهيمي، **جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي**، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

2 الإبراهيمي مُحَمَّد البشير، اثار الابراهيمي، **جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي**، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

3 بوحوش عمار ،**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

4 خيثر عبد النور،**الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931/1956 من خلال بعض الكتابات التاريخية الفرنسية**، حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد 02، جويلية 2008، منشورات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2008.

5 الزبيري العربي ،**تاريخ الجزائر المعاصر (ج1)**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

6 سعد الله أبو القاسم،**أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج(4)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

7 سعد الله أبو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992.

8 سعد الله أبو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992.

9 شيبان عبد الرحمان،**مقدمة مجلة الشهاب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.

10 عمارة حياة،**أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية**، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف الأستاذ الدكتور: مُحَّد عباس، جامعة تلمسان، 2014/2013.

11 المدني أحمد توفيق،**هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

12 مريوش أحمد،**دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1931/1952**، مطبوعات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الموسم الجامعي 2008/2007.

13 مريوش أحمد،**مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر1900/1952**، مطبوعات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الموسم الجامعي 2008/2007.

14 مناصرية يوسف،**زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس سنة 1937 وفكرة الوحدة المغاربية**، دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

15 ناصر مُحَّد بن صالح،**الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، منشورات ألفا، الجزائر، ط2، 2006.

16 نبيل بلاسي، **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، مطبعة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، مصر.